والاستراحة بهم في الاحوال انتهى فاذا حمل العبد نفسه والزمها
التواضع والمذلة واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد
لضعته الما ولا لمذلته طعما فحينئذ يترك نفسه ويستنير بنور الاخلاص
قلبه وينال من ربه اعلا درجات الخصوصية وعمل عليا وفر نصيب من المحبة
الحقيقة قال الشيخ ابو طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه
فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا
لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد
القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة لا تفارقه لازمة
لزوم الذبالة للذبال او الكساحة للكساح هما صفتان له كسائر
الطبائع وربما نحروا بها لعدم النظر الى نقصها فهذه ولاية عظيمة له
من ربه فتولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بغيره وهذا مقام محبوب
وبعده المكاشفات بسرائر الغيوب ثم قال ومن كان حاله مع الله تعالى
الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان
فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز فارق
العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك عيش نفسه انتهى فاذا
لا بد للمريد من اسقاط جاهه واخمال ذكره وفراره من موضع اشتهاره
وتعاطيه امورا مباحة تسقطه من اعين كقصة السايح الذي سمع به
ملك زمانه فجا اليه فلما علم بذلك السايح استدعا ببقل وجعل ياكله اكلا
عنيفا بمراى من الملك فلما راه على تلك الحالة استحقره واستصغره
وانصرف عنه دامه له وسياتي نص هذه القصة بعد هذا عند قوله
ربما دخل عليك الريا حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ بعض ايمة الصوفية رضي
الله عنهم في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا في ذلك
اشيا منكرة في ظاهر الشرع ولا واذ كذا جاز الهوان يفعلوه ويامروا به وذلك
مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه
بحيث تظهر ومشى بذلك متمهلا بحيث يرى ويظن به السرقة
فلما راه الناس اخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر

عدهم

عندهم بالسرقة حتى كان يعرف بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه
ومثل ما يروى عن ابي يزيد رضي الله عنه في قصة الشاهد
الذي امره ان يحلق راسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واو
عطا به ذلك لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحالة في المحافل وا
لما هو والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام ابو حامد الغزالي وغيره
قال بعض المصنفين رضي الله عنه ولا جاز لمن غص بلقمة من طعام
حلال ان يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع
به ولا يفوته الا حياة فانية فلان يجوز مثل هذا اذا تعين اولى ان
يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله فاذا التزم العبد هذه الطرق
من الرياضات ماتت نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى
ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة اخلاق الايمان
التي يتصف بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي نتيجة
الحكمة التي انبتها الله في قلوب عباده المتواضعين ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال عيسى لاصحابه اين تنبت الحبة
قالوا في الارض فقال عليه السلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب
مثل الارض قلت وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول
وذم الشهرة احاديث كثيرة منها ما روى ابو امامة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائي عندي لمومن خفيف
الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان
غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك
ثم نفض بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم
على الله لابره وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان يسير من الريا شرك وان من عادى اوليا الله
فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الاخفيا الاتقيا الذين
اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)